تتفكروا في خلقكم الاولى لتعلموا ان القادر على خلقكم اولا قادر على خلقكم ثانيا
ثم انه سبحانه وتعالى ذكر مراتب الخلقة الاولى امورا سبعة المرتبة الاولى قوله تعالى
فانا خلقناكم بقدرتنا التي لا يتعاظمها شي من تراب لم يسبق له اتصاف بالحياة
وفي الخلق من تراب وجهان احدهما لانا خلقنا اصلكم وهو ادم عليه السلام من تراب
كما قال تعالى كمثل ادم خلقه من تراب الثاني من الاغذية والاغذية اما حيوان واما
نبات وغذا الحيوان ينتهي الى النبات قطعا للتسلسل انما يتولد من الارض والما
فصح قوله تعالى انا خلقناكم من تراب المرتبة الثانية قوله تعالى ثم من نطفة
وحالها ابعد شي عن حال التراب فانها بيضا سايلة لزجة صافية كما قال تعالى من
ما دافق واصلها الما القليل قاله البغوي واصل النطفة الصب قاله البيضاوي
المرتبة الثالثة قوله تعالى ثم من علقة اي قطعة دم حمرا جامدة ليس فيها اهلية
للسيلان ولا شك ان بين الما وبين الدم الجامد مباينة شديدة المرتبة الرابعة
قوله تعالى ثم من مضغة اي قطعة لحم صغيرة وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة
اي مسواة لا نقص فيها ولا عيب يقال السواك والعود سواه وملسه من
قولهم صخرة خلقا اذا كانت ملسا وغير مخلقة اي غير مسواه فكان
الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة واملس من العيوب
ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم
وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم هذا قول قتادة والضحاك
وقال مجاهد المخلقة الولد الذي يخرج حيا وغير مخلقة السقط وقال
قوم المخلقة المصورة وغير المخلقة غير المصورة وهو الذي يبقى لحما من غير
تخطيط وتشكل واحتجوا بما روى علقمة عن عبد الله بن مسعود موقوفا عليه
قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم اخذها ملك بكفه وقال اي رب مخلقة
او غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها في الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال
مخلقة قال الملك اي رب ذكر ام انثى اشقي ام سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق
باي ارض تموت فيقال له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب
فيجدها في ام الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى ياتي على اخر صفتها والذي
اخرجاه في الصحيحين قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم
يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب
رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فو الذي لا اله غيره
ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى لا يبقى بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى
ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها
فكانه تعالى يقول انما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم

هذا

هذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وانه من قدر على البشر من التراب والما وقدر على
ان يجعل النطفة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هو ادخل في القدرة
من تلك واهون في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله
هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يحيط به الوصف ولا يكتنهه الذكر
ونقر في الارحام اي من ذلك الذي خلقناه ما نشا الى اجل مسمى هو وقت
الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه اربع سنين بحسب قوة الارحام وضعفها
وقوة المخلقات وضعفها وكثرة ما يغتذي به من الدما وقلته الى غير ذلك من احوال
وشوون لا يعلمها الا باريها جلت قدرته وتعالت عظمته وما لم نشا اقراره
مجته الارحام واسقطته دون التمام او تخرقه فيضمحل المرتبة الخامسة
قوله تعالى ثم نخرجكم طفلا وهو معطوف على نبين ومعناه خلقناكم مدرجين هذا
التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر حتى
تولدوا في حال الطفولية من صغر الجثة وضعف البدن والسمع والبصر وجميع
الحواس لئلا تهلكوا امهاتكم بكبر اجرامكم وعظم اجسامكم المرتبة السادسة
قوله تعالى ثم اي عند اجلكم لتبلغوا لهذا الانتقال في اسنان الاجسام
من الرضاع الى المراهقة الى البلوغ الى الكهولة اشدكم اي الكمال والقوة وهو
ما بين الثلاثين الى الاربعين جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانه شدة في الامور المرتبة
السابعة قوله تعالى ومنكم من يتوفى اي عند بلوغ الاشد او قبله ومنكم
من يرد بالشيخوخة وبناه للمجهول اشارة الى سهولته عليه لاستبعاده
لولا تكرار المشاهدة عند الناظر لتلك القوة والنشاط وحسن التواصل
بين اعضائه والارتباط الى ارذل اي اخس العمر وهو سن الهرم فينقص
جميع قواه لكيلا يعلم من بعد علم كان اوتيه شيئا اي ليعود كهيئته الاولى
في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه
حتى يسال عنه من ساعته يقول لك من هذا فيقول فلان فما يلبث لحظة الا
سالك عنه فان قيل هذه الحالة لا تحصل للمومنين لقوله تعالى ثم رددناه
اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اجيب بان معنى قوله
تعالى ثم رددناه اسفل سافلين هو دلالة على الذم فالمراد به ما يجري مجرى
العقوبة ولذلك قال الله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
لكن قال عكرمة من قرا القران لم يصر الى هذه الحالة وقد علم بعود الانسان
في ذهاب العلم وصغر الجسم الى نحو ما كان عليه في ابتدا الخلق قطعا ان الذي اعاده
مات الى ذلك قادر على اعادته بعد الممات ولما تم هذا الدليل على الساعة بحكم العقد
واضح التتابع وكان اول الايجاد فيه غير مشاهد ذكر تعالى دليلا اخر
على البعث مشاهدا بقوله تعالى وترى الارض هامدة اي يابسة ساكنة
سكون الميت فاذا انزلنا بما لنا من القدرة عليها الما اهتزت اي تحركت